تعالى لا تتوقف على العلم بمسيلة الروية فيجوز ان يكون لاشتغاله بساير العلوم
والوظايف الشرعية لم يخطر بباله هذه المسيلة حتى سالوها منه فطلب العلم
بها تاب عن ترك طريق الاستدلال اذا خطرت بباله وكان ناظرا فيها طالبا
للحق فاجترا على السوال لتتبين له جلية الحال وهذا تنبيه وتلطيف للمبادرة
في التعبير عن جهل كليم الله بما يجوز عليه وما لا يجوز وقصوره في المعرفة عن
جهالة المعتزلة نعوذ بالله من الغباوة والغواية ومن وجوه دلالة هذه
الاية على الروية ايضا امران احدهما انه تعالى قال في جواب موسى ابايها لن تراني
ولم يقل لست بمري على ما هو مقتضى المقام في التعبير عنها لو كانت ممتنعة
واخطا السايلون في طلبها و ثانيهما ان التجلي للجبل ليس معناه انه تعالى
ظهر له بعد ما كان محجوبا عنه وانما معناه انه خلق فيه الحياة والروية
فراه على ما حكى ابن فورك عن الاشعري ولا يخفى ضعف هذين الوجهين على
طالب تنبيه قد يتمسك المعتزلة على امتناع الروية بقوله
تعالى لا تدركه الابصار وتقدم جوابهم ويتمسك بها الاصحاب رضي الله تعالى
عنهم على جوازها وقرر الظاهريون منهم وجه التمسك بها على ذلك بانها
سيقت للتمدح بنفي الروية والتمدح بنفيها يستدعي جوازها ليكون انتفاؤها
للتمنع والتعزز بحجاب الكبريا لا لامتناعها كالمعدوم حيث تمتنع رويته
ولا مدح له في ذلك واعترض بان عدم المدح للمعدوم بانتفا الروية لعرائه
عما هو اصل الممادح والكمالات اعني الوجود واما الموجود فيمدح بنفي الروية
التي هي من صفات الخلق وسمات النقص وانه لم تجز رويته واجيب بانه
لا تمدح في ذلك ايضا لانه كثير من الموجودات يشاركه فيه كالاصوات
والطعوم والروايح وغيرها فاعترض بان هذا لا يستقيم على اصلكم حيث
جعلتم متعلق الروية هو الموجود وجوزتم روية كل موجود فاجيب
بان تلك الاعراض وان كانت جايزة الروية الا انها مقرونة بامارات
الحدوث وسمات النقص فلم يكن نفيه مدحا بخلاف الصانع فانه علم بالادلة
القاطعة قدمه وكماله وادرج تمدحه بنفي الروية في اثنا كلام بنفي سمات
الحدوث والزوال ويشتمل على ابانة العظمة والجلال اعني قوله تعالى بديع
السموات والارض الى قوله وهو اللطيف الخبير فدل على جواز الروية
ليصلح نفيها تمدحا وصار الحاصل ان نفي الروية عن الموجود الجايز الروية
الخالي عن سمات النقص بل المقرون بصفات الكمال تمدح له فاعترض بانه
يجب ان لا يزول قط ابدا في الاخرة لان زوال ما به التمدح نقص واجيب
بان ذلك انما هو فيما يرجع الى الذات وصفاته والتمدح بنفي الروية راجع الى
صفات الفعل لان الروية بخلق الله تعالى ونفيها بخلق ضدها والافعال
حادثة يجوز زوالها وزوال الممادح الراجعة اذ لا يحصل بذلك تغير في

القديم

القديم ولا نقص في الذات ولما لم يستقم هذا على راي القايلين بقدم التكوين ومغايرته
للمكون ولم يحسن جعل التمدح راجعا الى الفعل لانه لا مدح للشي بان لا يخلق الله
تعالى في اعين الناس رويته بل ضدها لان كل مادي ودرج لا يريهم اذا لم يخلق
الله تعالى في اعين الناس رويته بل ضد نهاية الابصار اجاب بعض محققيهم
بان ادراك البصر هو الاحاطة بجوانب المري والوقوف على حدوده ونهاياته
والتمدح به انما يكون على تقدير صحة الروية مع انتفا امارات الحدوث وسمات
النقص اذ لا تمدح بنفي الادراك فيما تمتنع رويته التي هي سبب الادراك
كالمعدوم ولا فيما تصح رويته لكن عرف حدوثه ونقصه كالاصوات والروايح
والطعوم قال العلامة سعد الدين واعلم ان مبنى هذا الاستدلال على ان
يكون كل من قوله تعالى لا تدركه الابصار وقوله وهو يدرك الابصار تمدحا
على حدة الا ان يكون المجموع تمدحا واحدا فليتامل انتهى فان قلت جميع ما
ذكرته انما يفيد جواز الروية فما يفيد وقوعها قلت لا خفا ان اثبات
وقوع الروية لا يمكن الا بالادلة السمعية خاصة وقد احتج عليه القوم
بالكتاب والسنة والاجماع فاما الكتاب فايات منها قوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة ووجه الدلالة من هذه
الاية ان النظر الموصول بالى اما بمعنى الروية او مستلزم لها بشهادة النقل
عن ايمة اللغة والتتبع لموارد استعماله واما مجاز عنها لكونه عبارة عن
تقليب الحدقة نحو المري طلبا لرويته وقد تعذر ههنا الحقيقة لامتناع
المقابلة والجهة فتتعين الروية لكونها اقرب المجازات بحيث التحقق بالحقايق
بشهادة العرف لما انه تقرر في الاصول انه يجب الحمل على اقرب المجازات
ما لكن عند تعذر الحقيقة واعترض بانه لا يستقيم تقديم المعمول المفيد للحصر
اذ ستشاهدونهم في الجنة غير مقصورة على ربهم بل تنقدوا للولدان والحور وساير
انواع النعيم والقصور واجيب بان التقديم لمجرد الاهتمام ورعاية الفاصلة
دون الحصر ولين سلم فالمراد الحصر الادعائي بمعنى ان المومنين لاستغراقهم
في مشاهدة جماله وقصر النظر على عظمة جلاله كانهم لا يلتفتون الى ما سواه
ولا يشاهدون بابصارهم كقلوبهم الا الله واعترض الاسنة لا الى ايضا
بان الى ههنا ليست حرفا بل اسما بمعنى النعمة واحد الالاء وناظرة من النظر
بمعنى الانتظار كما في قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم ولو سلم فالنظر الموصول
بالى اليضافة يجي بمعنى الانتظار كما في قول الشاعر

وجوه ناظرات يوم بدر • الى الرحمن تاتي بالفلاح

وقوله

وشعث ينظرون الى بلال • كما نظر الظما حب الغمام • وقوله

كل الخلايق ينظرون سجاله • نظر الحجيج الى طلوع هلال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1